

# خطبة الجمعة القادمة ٢٨ رجب ١٤٤٢ الموافق ١٢ مارس ٢٠٢١ م

## بعنوان (حق الوطن والشهادة في سبيله)

العناصر :-

١- من مشاهد الإسراء والمعراج .

٢- الشهادة هي التجارة الربحة .

٣- منزلة الشهداء عند الله .

٤- لا نهضة للأمم من غير تضحية\*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وبعد:

أحبتني في الله:-

أذكرُ نفسي وإياكم أننا تحدثنا في اللقاء السابق عن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال رحلة الإسراء والمعراج وقلنا أن الله تعالى بيّن الحكمة من هذه الرحلة في قوله (لثُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[الإسراء: ١].

فتعالوا بنا اليوم لنكمل الحديث ونرى بعضاً من المشاهد التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة.

وكما يقال لكل مقام مقال، فالمقام يتطلب منا أن نتحدث عن مشهد عظيم رآه صلى الله عليه وسلم ذلك المشهد ورد في حديث أبي هريرة عند الطبراني والبخاري أنه (مر بقوم يزرعون ويحصدون، كلما حصدوا عاد كما كان، قال جبريل: هؤلاء المجاهدون)

ولما المجاهدون؟

لأنهم أناس من طراز فريد؛ تساموا فوق الحياة وملذاتها وشهواتها.. باعوا أنفسهم لله.

\* هؤلاء الأبطال عرفوا الحق فاتبعوه، وعرفوا الشرّ والباطل فواجهوه، وقد هانت عليهم الدنيا، وقد أيقنوا أن أرواحهم أعلى ما يملكون، فقدموها قرباناً لله جل وعلا، وأراقوا دماءهم في سبيله.. فبها من تجارة رائجة رابحة.

وصدق الله جل وعلا حيث قال: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: ١١١]

\* هؤلاء الشهداء لما علموا أنها تجارة رابحة وعلموا أن الذي وعد بذلك هو الله ومن أوفى بعهد من الله ما خافوا ولا فزعوا بل تقدموا بقوة وثبات لا يهابون الموت.

وصدق القائل:-

شَهِيدُ الْحَقِّ لَا يَخْشَى \*\* مِنَ الصَّارُوخِ وَالْمِدْفَعِ..

يَخُوضُ النَّارَ مُقْتَحِمًا \*\* وَلَيْسَ يَخَافُ أَوْ يَدْمَعُ..

وَكَيفَ يَنَامُ أَوْ يَغْفُو \*\* وَقَاتِلُ شَعْبِهِ يَزْتَعُ..

فَقَامَ وَزَلَّزَلَ الدُّنْيَا \*\* وَهَزَّ الْكُونَ كَيْ يُسْمَعُ ..

فَكَانَتْ صَيْحَةً عَمَتْ \*\* سُهُولَ الْأَرْضِ وَالْبَلْقَعِ..

وَكَانَ حَصَادُ غَضَبِيَّتِهِ \*\* عَلَى أَعْدَائِهِ أَوْجَعِ..

فَكَالَ الثَّارَ لِلْبَاغِي \*\* وَقَوَّضَ حِصْنَهُ الْأَمْنَعِ..

وَأَعْلَنَ أَنَّهُ الْأَعْلَى \*\* وَأَنَّ مَقَامَهُ الْأَرْفَعِ..

وَأَنَّ جِهَادَهُ فَرَضٌ \*\* بِغَيْرِ النَّصْرِ لَا يَقْنَعُ..

فَصَارَ فَخَارَ أُمَّتِهِ \*\* وَخَيْرَ رَجَالِهَا أَجْمَعِ..

وَقَدْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ \*\* فَجَنَّةُ رَبِّهِ أَوْسَعِ..

أحبتي في الله:-

هؤلاء الشهداء أرفع الناس درجة بعد الأنبياء والصدّيقين، يقول تعالى (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء: ٦٩]

وهذا فضل من الله يؤتيه الله من يشاء من عباده ، فالشهادة إذن مكانة خاصة لبعض الناس الذين أراد الله أن يرفع درجاتهم، واختارهم لهذا الفضل وهذه المكانة قال تعالى : (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) [آل عمران: ١٤٠]

**\*\*** جاء رجل إلى الصلاة والنبى صلى الله عليه وسلم يصلي، فقال حين انتهى إلى الصف: اللهم أنتي أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين. فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة قال: "من المتكلم أنفا؟" فقال الرجل: أنا يا رسول الله. قال: (إذا يعقر جوادك وتستشهد).

**\*\*** فالشهادة منحة وليست محنة، إذا أراد الله أن يرفع درجة إنسان اختاره شهيدا. ومنحه هذا العطاء العظيم.

**\*\*** وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقفون تلك المنح والعطايا فيتسابقون إلى ميدان الجهاد، ويتسابقون إلى الشهادة في سبيل الله، ففي معركة بدر وحين التقى المسلمون بالمشركين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض)، فقال: عمير بن الحمام الأنصاري يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض، قال: "نعم"، قال بخ بخ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما يحملك على قولك: بخ بخ؟) قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها! قال: (فإنك من أهلها) فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: "لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل"؛ رواه مسلم

**\*\*** هكذا كان الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم يتمنون الشهادة في سبيل الله لما لها من مكانة عظيمة.

**\*\*** ومما يؤكد على أن لها مكانة عظيمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمنأها بقوله (ﷺ) وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَدِدْتُ أَنِّي أُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ )

**\*\*** وهذا سيدنا عمر رضي الله عنه يقول في دعائه : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك. (البخاري)، واستجاب الله دعاءه ورزقه الله الشهادة ودفن بجوار المصطفى صلى الله عليه وسلم.

**\*\*** وهذا سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو على فراش الموت يقول (والله لقد شهدت مائة زحف أو زهائها وما في جسدي إلا ضربة سيف أو طعنة رمح وها أنا ذا أموت على فراشي كما تموت العير فلا نامت أعين الجبناء). وهذا خيثة وابنه سعد رضي الله عنهما يتنافسان على الخروج إلى الجهاد في غزوة بدر قال خيثة لابنه سعد: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم فأترني بالخروج، فأبى سعد، وقال: لو كان غير الجنة أترتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا فاستهما فخرج سهم سعد فخرج فقتل ببدر.

واستمع إليه وهو يقول للنبي صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى غزوة أحد: يا رسول الله، إِمَّا أَنْ يُظْهِرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، أَوْ تَكُونَ الْآخِرَى، وَهِيَ الشَّهَادَةُ الَّتِي أَخْطَأْتَنِي فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، فَلَقَدْ بَلَغَ

من جِزْصِي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي اسْتَهْمْتُ -أي أجريت قرعة- أنا وابني في الخروج إلى معركة بدر؛ ليبقى أحدنا يعولُ الأهلَ، وخرَجَ السهمُ له وذهبَ إلى القتالِ في بدر، ورزقه اللهُ الشهادةَ، وقد رأيتُ ابني البارحةَ في المنامِ وهو يقولُ لي: "الحقُّ بنا يا أبتِ، ورافقني في الجنة؛ فقد وجدتُ ما وعدني ربِّي حقًّا". والرجلُ يبكي ويقولُ للنبيِّ بالحاح: لقد أصبحتُ مشتاقًا إلى مرافقةِ ابني، ومَن معه مِنَ الشهداءِ، كما أحببتُ لقاءَ اللهِ؛ فادعُ اللهُ لي بالشهادةِ يا رسولَ اللهِ.

\*وهذا عمرو بن الجموح كان أعرج شديد العرج، وكان كبير السن، وكان له أربعة بنين شباب يغزون مع رسول الله إذا غزا، فلما أراد رسول الله أن يتوجه إلى أحد، أراد أن يتوجه معه، فقال له بنوه: "إن الله قد جعل لك رخصة، فلو قعدت ونحن نكفيك، فقد وضع الله عنك الجهاد". فأتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله فقال: "يا رسول الله، إن بنيَّ هؤلاء يمنعون أن أخرج معك، والله إنني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة". فقال له رسول الله: "أمَّا أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الْجَهَادَ"، وقال لبنيه: "وَمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْعُوهُ؛ لَعَلَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ". فخرج مع رسول الله فقتل يوم أحد شهيدًا.

إنه خرج يريد الشهادة بصدق مع أنه قد تجاوز الستين من العمر، فرزقه الله الشهادة؛ لأنها رزقٌ، ولا ينال هذا الرزق العظيم إلا من يسره الله له..

\*

فالله كَرَّمَهُ وأعلى شأنه \*\*وله الخلود بجنة الرضوان.

إن الشهيد مقامه في أوجها\*\*كالنجم يسمو فوق كل مكان.

حيٌّ وكل الناس في أجدانهم \*\*فالرُّوح في الرِّوضات والأفنان.

أحبتي في الله:-

إن لذة الشهادة في سبيل الله لا يحصيها قلم، ولا يصفها لسان، ولا يحيط بها بيان..

ولو أننا أردنا أن نذكر ما أعده الله جل وعلا للشهداء ما وسعنا الوقت ولكن حتى لا أطيل على حضراتكم أقول لكم يكفيننا في هذا المقام أن نذكر هذا الحديث الجامع الشافي الوافي.

عن المقدم بن معدي كرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ستَّ خصال؛ (يُعَفَّرُ له عند أول دفعة من دمه، ويرى مكانه في الجنة، ويأمن الفرع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها، ويُزَوَّجُ ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أهله)؛ رواه أحمد وابن ماجه،

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته) رواه أبو داود

!!أي فضل أعظم من ذلك فهنيئاً للشهداء..

يكفي الشهداء منزلةً وقدرًا أن الشهيد هو الوحيد الذي يتمي الرجوع إلى الدنيا ليقتل مرة ثانية: ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ ، يَسْرُهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا ، وَأَنْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، إِلَّا الشَّهِيدَ ، لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ ، فَإِنَّهُ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى )

وفي سنن الترمذي بسند حسن عن جابر بن عبد الله قال لَقِنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي ( يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا ) قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَشْهَدَ أَبِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عِيَالًا وَدِينًا .

قَالَ ( أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ ) قَالَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ ( مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا فَقَالَ

يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَى أُعْطِكَ . قَالَ يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً .

قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ .»

قَالَ وَأَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ ( وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ ) (١٦٩) فَرَجِينِ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ(١٧١) آل عمران.

\*\*ويكفي الشهيد منزلة وقدرًا أنه يُوقى من فتنة شديدة الكرب، عظيمة البلاء، ألا وهي فتنة القبر أعاذنا الله وإياكم منها ولكن ما السبب أن يُعفى منها؟ لتتفكر في قول النبي صلى الله عليه وسلم يبين لرجل سأله فقال: ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: (كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة)؛ رواه النسائي.

\*\*ويكفي الشهيد منزلة وقدرًا أن رائحة دمه مسك يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما، اللون لون دم والريح ريح مسك ). (رواه البخاري).

\* أحبتي في الله:-

مهما تكلمنا عن منزلة الشهيد فلن نوفيه حقه ولكن نكتفي بهذا القدر وخير ما نختم به حديثنا هذه الأبيات التي تجسد لسان حال الشهيد وهو يحلق في السماء ويقول:

لا تحزنوا يا إخوتي \*\*إني شهيد المحنة..

وكرامتي بشهادتي \*\*هي فرحتي ومسرّتي. ولئن صرعتُ فذا دمي \*\*يوم القيامة آيتي.

الريح منه عاطر \*\* واللون لون الوردية..

أجالنا محدودة \*\* ولقاؤنا في الجنة..

ولقاؤنا بحبيبنا \*\* بمحمد والصُّحبة..

وسلاحنا إيماننا \*\* وحياتنا في عزّة..

\*\*فينبغي علينا أحبتي في الله أن نجتهد ونُخلص في طلب الشهادة. حتى يعطينا الله عز وجل أجرها..

عن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه))؛ رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود،

وفي الختام: -أقول لا نهضة للأمم من غير تضحية ، وعلى أكتاف المضحين تقوم الأمم وترتقي وبتضحياتهم تحيا وتعيش ، وتجتاز المحن والصعاب وتحطم السدود والقيود.

أسأل الله تعالى أن يحفظ بلادنا من كل سوء وأن يرزقنا الأمن والأمان والسلامة والسلام.

وأسأله جل وعلا أن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ( اللهم آمين )

\*

كتبه:-كمال السيد محمود محمد المهدي

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية